رسّامة ولكنها.. مغرورة

قصة ورسم
يوسف عبد لكي

دار شهرزاد

سلسلة حكايات وألوان
رسامة ولكنها مغرورة
دار شهرزاد

دار شهرزاد

تطلب من
دار العلم للملايين
مؤسسة نوفل

سلسلة حكايات وألوان

ص. ب. ٢١٦١ أو ص. ب. ١٠٨٥
بيروت. لبنان

سلسلة حكايات وألوان

رسّامة ولكنها.. مغرورة

قصة ورسم:
يوسف عبدلكي

دار شهرزاد

هَلْ تُريدونَ، يا أَصْدِقائي، أَنْ تَعْرِفوا أَيْنَ توجَدُ سَحَر؟

– إِنَّها في مَرْسَمِ ٱلْمَدْرَسَةِ في أَكْثَرِ ٱلْأَحْيان. فَهِيَ مِنْ أَمْهَرِ التِّلْميذاتِ في الرَّسْم. وَزَميلاتُها في الصَّفِّ لا يَتْرُكْنَ مُناسَبَةً إِلاّ وَيُبْدينَ إِعْجابَهُنَّ بِأَنامِلِها الرَّشيقَةِ الَّتي تُبْدِعُ

أَجْمَلَ الرُّسومِ بِأَرْوَعِ ٱلْأَلْوان.

أَمّا مُعَلِّمَةُ الرَّسْمِ فَكانَتْ تُعْجَبُ بِها وَتُطْريها بِعِباراتِ ٱلْإِعْجابِ وَٱلثَّناءِ، مِمّا جَعَلَ سَحَر تَعْتَزُّ بِعَمَلِها أَكْثَرَ مِمّا يَجِب.

دَعَتْ إِدارَةُ ٱلْمَدْرَسَةِ أَوْلِياءَ الطّالِباتِ لِحُضورِ ٱلْمَعْرِضِ ٱلْفَنِّيِّ في مُنْتَصَفِ ٱلعامِ الدِّراسِيِّ، فَقَدَّمَتْ سَحَرُ لَوْحَةً زَيْتِيَّةً جَميلَةً نالَتْ إِعْجابَ ٱلْجَميعِ وَٱسْتِحْسانَهُمْ، مِمّا أَهَّلَها لِلْفَوْزِ بِٱلْجائِزَةِ ٱلْأولى، وَهِيَ كَأْسٌ فِضِّيَّةٌ قَدَّمَها لَها ٱلْمُديرُ بِنَفْسِهِ قائِلاً لَها: أُهَنِّئُكِ يا سَحَر بِٱسْمِ إِدارَةِ

ٱلْمَدْرَسَةِ وَأُقَدِّمُ لَكِ هَذِهِ ٱلْجائِزَةَ لِرَسْمِكِ أَجْمَلَ لَوْحَةٍ في ٱلْمَعْرِضِ.

وَهٰكَذا حَمَلَتْ سَحَرُ ٱلْكَأْسَ وَمَشَتْ أَمامَ زَميلاتِها وَهِيَ تَتيهُ عُجْباً وَكِبْرِياءً.
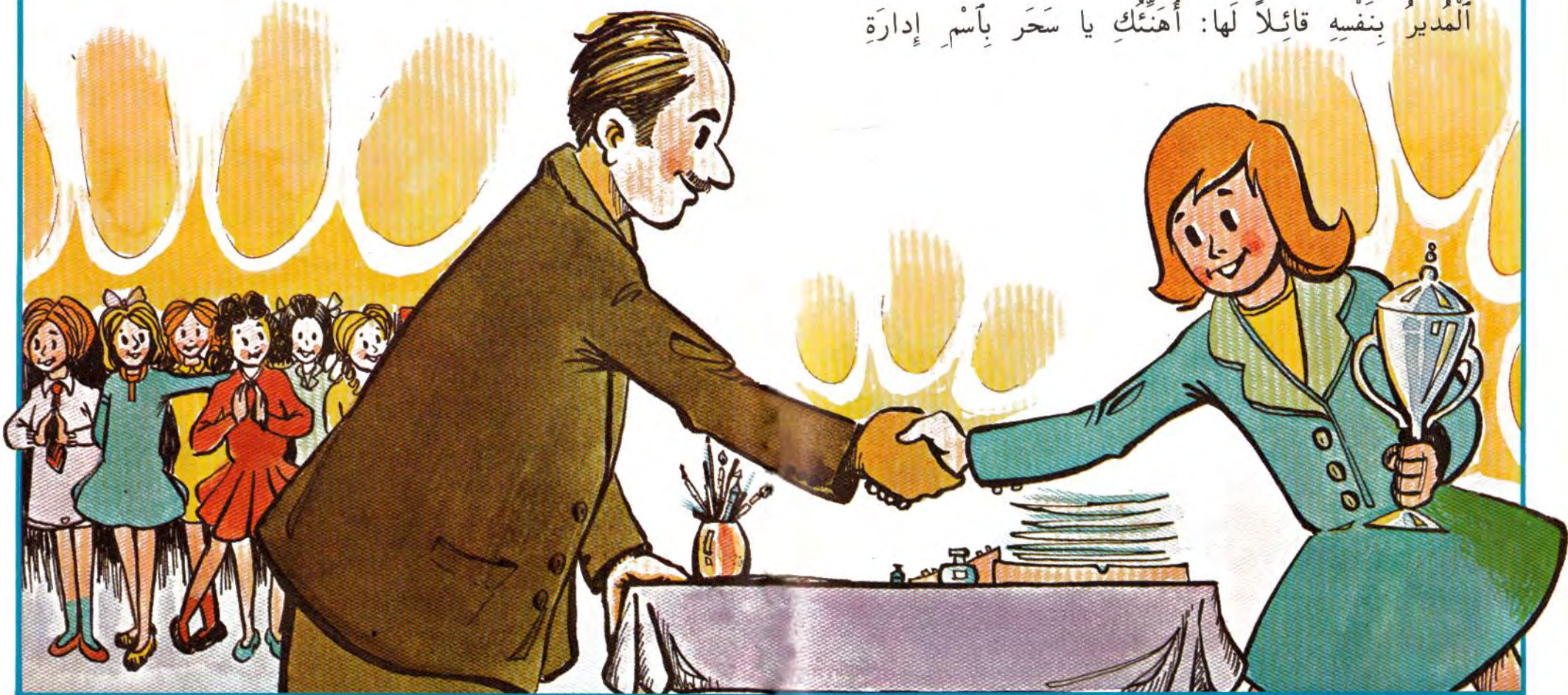
كانَ يَنْبَغي لِكَلِماتِ ٱلْمَديحِ وَٱلاعْجابِ هٰذِهِ أَنْ تَكونَ حافِزاً لِسَحَر عَلى ٱلْاعْتِناءِ بِرُسومِها وَٱلْاسْتِمْرارِ في تَفَوُّقِها ، وَلٰكِنْ - لِلْأَسَفِ - ما كانَتْ هٰذِهِ ٱلْكَلِماتُ إلاّ لِتَزيدَها غُروراً وَتَعالِياً عَلى زَميلاتِها ، بَلْ إِنَّها دَأَبَتْ في كَثيرٍ مِنَ ٱلْأَحْيانِ عَلى ٱلْهُزْءِ بِهِنَّ وَٱلسُّخْرِيَةِ مِنْ رُسومِهِن..

وَهٰكَذا تَحَوَّلَ إِعْجابُ صَديقاتِها بِها إِلى بُغْضٍ وَنُفورٍ مِنْ تَصَرُّفاتِها السَّيِّئَة.

كانَ مَعَ سَحَر في صَفِّها طالِبَتانِ هُما: عَنْبَرُ وَفاتِنُ،
وكانَتا مَوْهوبَتَيْنِ، تَرْسُمانِ رُسوماً لَطيفَةً تُثيرُ إِعْجابَ
ٱلْكَثيراتِ مِنَ الطّالِباتِ، وَلَكِنَّهُما مَعَ ثِقَتِهِما بِنَفْسِهِما كانَتا
تَقولانِ بِتَواضُعٍ: إِنَّ سَحَرَ تَرْسُمُ أَفْضَلَ مِنّا.. وكانَ هٰذا
ٱلْاَعْتِرافُ يُحَبِّبُهُما كَثيراً إِلى قُلوبِ زَميلاتِهِما، لا سِيَّما بَعْدَ

أَنْ أَسْرَفَتْ سَحَرُ في غُرورِها، حَتّى أَنَّها في إِحْدى ٱلْمَرّاتِ
أَغْلَقَتْ بابَ ٱلْمَرْسَمِ في وَجْهِهِما قائِلَةً: يَجِبُ أَنْ تَعْرِفا أَنَّ
هَذا ٱلْمَرْسَمَ لا تَدْخُلُهُ إِلاّ ٱلْمَوْهوباتُ ٱلْمُتَفَوِّقاتُ.

فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ مَضَتِ الصَّدِيقَتانِ حَزِينَتَيْنِ وَمُتَأَلِّمَتَيْنِ مِنْ كَلامِ سَحَر ٱلْقاسي.

قالَتْ عَنْبَرُ: إِنّي أَرى أَنَّ ٱلْغُرورَ يَكادُ يَعْمي سَحَر!

وَقالَتْ فاتِنُ: إِنَّ حالَتَها تَدْعو إِلى ٱلْأَسَف!

وَقالَتِ ٱلْاثْنَتانِ مَعاً: حانَ ٱلْوَقْتُ لِتَلْقينِها دَرْساً يُعيدُها إِلى رُشْدِها..

فِي ٱلْيَوْمِ التّالي كانَتْ فاتِنُ وَعَنْبَرُ قَدِ ٱتَّفَقَتا عَلى أَمْرٍ.. لَقَدْ قَرَّرَتا أَنَّ ٱلْعَمَلَ ٱلْمُتَواصِلَ وَٱلدَّأْبَ عَلى إِتْقانِ الرَّسْمِ هُوَ الَّذي سَيُحَطِّمُ غُرورَ سَحَر.

وَلَمّا وَصَلَتا إِلى ٱلْمَدْرَسَةِ ذَهَبَتا إِلى مُعَلِّمَةِ الرَّسْمِ وَأَخْبَرَتاها بِتَصَرُّفِ سَحَر مَعَهُما، وَطَرْدِها إِيّاهُما مِنَ ٱلْمَرْسَمِ،

غَضِبَتِ ٱلْمُعَلِّمَةُ وَأَمَرَتْ سَحَرَ بِأَنْ تُدْخِلَهُما ٱلْمَرْسَمَ ساعَةَ تَشاءان.

وَمُنْذُ ذلِكَ ٱلْيَوْمِ دَأَبَتْ فاتِنُ وَعَنْبَرُ على الرَّسْمِ ، وَخَصَّصَتا وَقْتاً أَطْوَلَ وَجُهْداً أَكْبَر. وَتَبادَلَتا ٱلْخِبْرَةَ وَٱلْمَعْلوماتِ لِأَنَّهُما باتَتا تَعْتَقِدانِ أَنَّ التَّمْرينَ ٱلْمُسْتَمِرَّ هُوَ أَساسُ النَّجاحِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُصْبِحَ رَسّاماً ذا شَأْنٍ في ٱلْمُسْتَقْبَل.

لَمْ تَكْتَفِ فاتِنُ وَعَنْبَرُ بِالتَّمْرينِ ٱلْمُسْتَمِرِّ بَلْ ٱدَّخَرَتا مِنْ مَصْروفِهِما ٱلْيَوْمِيِّ مَبْلَغاً مِنَ ٱلْمالِ يَكْفي لِشِراءِ عَدَدٍ مِنَ ٱلْكُتُبِ الَّتي تُدَرِّسُ ٱلْفَنَّ وَٱلْفَنّانينَ وَدَأَبَتا عَلى دِراسَتِها ،

وَبِذَلِكَ تَعَرَّفَتا عَلى أَساليبِ أَشْهَرِ الرَّسّامينَ في ٱلْعالَم ...
كُلُّ هَذا أَهَّلَهُما لِاكْتِسابِ خِبْراتٍ جَديدَةٍ في الرَّسْم.
وَمِنَ ٱلْمُؤَكَّدِ أَنَّهُما لَمْ تُهْمِلا دُروسَهُما بَلْ كانَتا تَفْعَلانِ كُلَّ ذٰلِكَ في ٱلْأَوْقاتِ الَّتي كانَتْ مُخَصَّصَةً فيما مَضى لِمَرَحِهِما وَلَهْوِهِما. وَهٰكَذا صَنَعَتا في أَوْقاتِ ٱلْفَراغِ شَيْئاً مُسَلِّياً وَمُفيداً.
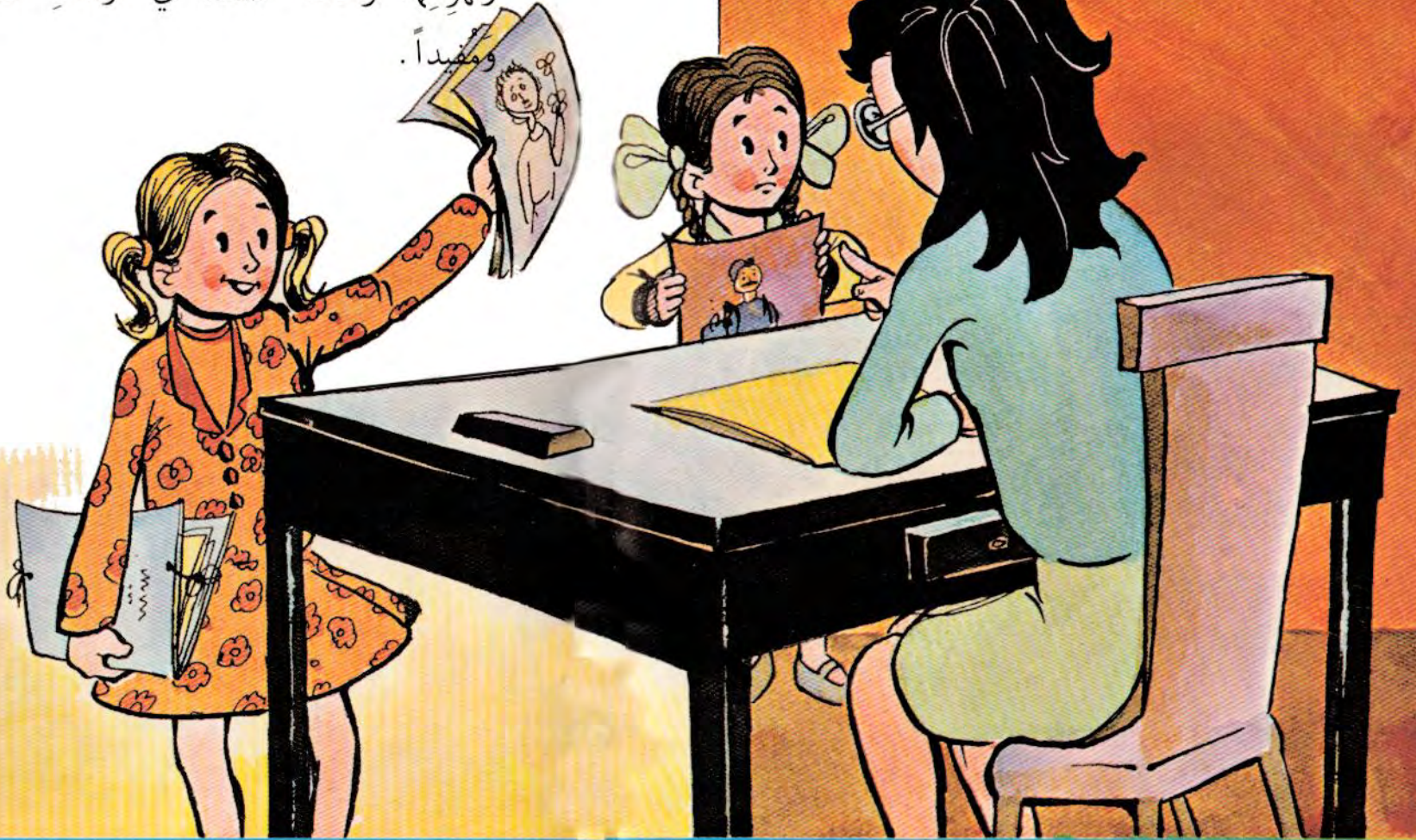
وَلَمْ تَنسَ الصَّديقَتانِ أَنْ تُطْلِعا مُعَلِّمَتَهما عَلى ما تَرْسُمانِ، فَكانَتْ كَثيراً ما تُرْشِدُهُما بِآرائِها وَتُزَوِّدُهُما بِالْمُلاحَظاتِ الدَّقيقَةِ حَوْلَ هٰذِهِ الْأَلْوانِ أَوْ تِلْكَ الْخُطوط.

وَاقْتَرَبَ مَوْعِدُ الْمَعْرِضِ الْخِتامِيِّ لِلْمَدْرَسَةِ في نِهايَةِ الْعامِ الدِّراسِيِّ، فَأَخَذَ كُلٌّ مِنْ فاتِن وَعَنْبَر تُعِدُّ رُسوماً تَحْضيرِيَّةً صَغيرَةً لِلَّوْحَةِ الْكَبيرَةِ الَّتي تَنْوي كُلٌّ مِنْهُما التَّقَدُّمَ بِها لِلْمَعْرِضِ.

كُـلُّ هذا جَرى لِلصَّديقَتـانِ، وسَحَرُ لاتَزالُ ماضِيَةً في غُرورِها ٱلْمُزْعِجِ وَسُخْرِيَتِها مِنْ أَعْمالِ رَفيقاتِها... وَعِنْدَما سَأَلَتْها إِحْدى الرَّفيقاتِ عَمّا إِذا كانَتْ قَدِ ٱخْتارَتْ مَوْضوعَ لَوْحَتِها لِلْمَعْرِضِ ، أَجابَتْها بِبُرودٍ: بِبُرودٍ: أُوه.. لايَزالُ أَمامي مُتَّسَعٌ مِنَ ٱلْوَقْتِ، هُناكَ أُسْبوعٌ بِكامِلِه.

رَسَمَتْ عَنْبَرُ بائِعَ السّوسِ وَهُوَ يَحْمِلُ شَرابَهُ الشَّعْبِيَّ في إِناءٍ نُحاسِيٍّ عَلى ظَهْرِهِ، وَبِيَدِهِ كاساتُ النُّحاسِ الصَّفْراءُ يُوَقِّعُ بِها نَغْمَةً مُمَيَّزَةً، لِيَلْفِتَ بِها أَنْظارَ ٱلْمارَّة.

أَمّا فاتِن فَقَدْ رَسَمَتْ قَرْيَةً جَبَلِيَّةً نائِمَةً في حُضْنِ ٱلْجَبَلِ، وَقَدِ ٱلْتَفَّتْ حَوْلَها ٱلْأَشْجارُ ٱلْباسِقَةُ وَأَحاطَ بِها ٱلْجَبَلُ ٱلْأَخْضَرُ الشّامِخ.

وَٱفْتُتِحَ ٱلْمَعْرِضُ أَخيراً ، وكَمْ كانَتْ دَهْشَةُ ٱلْجَميعِ كَبيرةً عِنْدَما شاهَدوا لَوْحَتَيْ فاتِن وَعَنْبَر وَرَأَوْهُما غايَةً في دِقَّةِ الرَّسْمِ وَٱلْبَراعَة. حَتّى إِنَّ رَفيقاتِهِما ٱلْتَفَفْنَ حَوْلَهُما وَأَخَذا يُهَنِّئْنَهُما عَلى مَهارَتِهِما في الرَّسْمِ وَتَناسُقِ ٱلْأَلْوان.

أَمّا لَوْحَةُ سَحَر فَلَمْ تَلْقَ حَظًّا مِنَ ٱلْإِعْجابِ ، أَوْ ٱلْٱلْتِفاتِ لِأَنَّها رُسِمَتْ عَلى عَجَلٍ ، فَجاءَتْ تافِهَةَ ٱلْمَوْضوعِ مُتَنافِرَةَ ٱلْأَلْوان.

وَفي ٱلْٱحْتِفالِ ٱلْخِتامِي لِلْمَعْرِضِ ،أَعْلَنَ مُديرُ ٱلْمَدْرَسَةِ قَرارَ لَجْنَةِ ٱلتَّحْكيمِ ٱلْفَنِّيَّةِ ، ٱلْقاضي بِتَقْديمِ ٱلْجائِزَةِ ٱلْكُبْرى لِلطّالِبَتَيْنِ فاتِن وَعَنْبَر مُناصَفَةً ، لِأَنَّهُما قَدَّمَتا أَجْمَلَ لَوْحَتَيْنِ ، وَهَنَّأَهُما بِٱسْمِ ٱلْجَميع .

صَفَّقَتِ الطّالِباتُ بِحَرارَةٍ لِهٰذا ٱلْفَوْزِ ٱلْكَبيرِ وَٱنْهالَتِ التَّهاني عَلى فاتِنَ وَعَنْبَرَ اللَّتَيْنِ تَعانَقَتا ، وَدُموعُ ٱلْفَرَحِ

تَجولُ في أَعْيُنِها... ثُمَّ تَقَدَّمَتا وَسَط ٱبْتِسامات ٱلْحاضرينَ فَٱسْتَلَمَتا ٱلْجائزَةَ بِسُرورٍ غامِرٍ.

وكَمْ كانَ لَطيفاً مِنْ سَحَرَ الَّتي ٱكْتَشَفَتْ خطَأَها، أَنْ تَتَقَدَّمَ مِنْ فاتِنَ وَعَنْبَر، وَتُصافِحَهُما بِحرارَةٍ وَتُهَنِّئَهُما وَتَدْعوهُما إلى قَبولِ ٱعْتِذارِها والصَّفْحِ ٱلْجَميلِ عَنْ حماقاتِها السّابِقَة.

وكَانَ لَطيفاً مِنْ فاتِنَ وَعَنْبَرَ أَيضاً أَنْ قَبَّلَتاها بِحُبٍ وَحَنانٍ بَيْنَ تَصْفيقِ ٱلْحاضِرينَ وَإِعْجابِهِم.